لقاء مع الصحفي "روبرت فيسك" لمجلة "الإندبندنت"[1]

يونيو 1996

فيسك: في ظل موت 19 جنديًا أمريكيًا، قُتلوا في تفجيري الخُبَر والرّياض، قد زار وزير الخارجية الأمريكي "وارن كريستوفر" ذلك المكان المدمّر، ووعد متنبّئًا بأن أمريكا لن يهزَّها العنف، وأن الجُناة ستتم ملاحقتهم، وقد تنبّأ الملك فهد –ملك المملكة العربية السعودية– بإمكان حدوث عنف عندما وصلت القوات الأمريكية "لتدافع" عن المملكة عام 1990، ولهذا السّبب استحصل من الرئيس جورج بوش بتاريخ آب/ أغسطس على وعد بأن تغادر جميع القوى العسكرية الأمريكية المملكة عندما يزول التّهديد العراقي، ولكن وجود الأمريكيين استمر، مدّعين أنّ بقاء نظام صدام –الذي اختار بوش أن لا يدمِّره– يمثل خطرًا على الخليج....

أسامة بن لادن: منذ فترة ليست ببعيدة نصحتُ الأمريكيين بأن يسحبوا قواتهم من السعودية، والآن ننصح حكومتَي بريطانيا وفرنسا بأن تُخرجا قوّاتهما؛ لأن ما حصل في الرياض والخُبَر يدلّ على أن من قاموا بذلك يفهمون فهمًا عميقًا كيف يختارون أهدافهم، إنهم يضربون عدوّهم الرئيسي؛ أي الأمريكيين، ولم يقتلوا أي أعداء ثانويين، ولا إخوانهم في الجيش أو رجال الشرطة في السعودية.

إني أقدم النصح أنه يجب أن يغادر الأمريكيون بلاد الحرمين، وإنّ الشّرور التي تحيق بالشرق الأوسط نشأت من محاولة أمريكا الاستيلاء على المنطقة ومن دعمها إسرائيل، وهذا لا يعني أننا أعلَنّا الحرب على شعبه، ولكن ضد النظام الأمريكي الراهن، الذي هو ضد كل أمريكي.

فيسك: ولكن انتخب الأمريكيون حكومتهم، خلافًا لأنظمة الحكم العربية، ويقولون إنّ الحكومة تمثّلهم.

أسامة بن لادن: إنّ انفجار الخُبَر لم يأتِ كردّ فعل مباشر على الاحتلال الأمريكي، ولكن كعاقبة للسّلوك الأمريكي إزاءَ المسلمين، ودعمه لليهود في إسرائيل، والمجازر التي ارتُكبت في فلسطين ولبنان، وفي صبرا وشاتيلا وقانا، ومؤتمر شرم الشيخ، هي بيّنات ثبوتية على وحشيّة إسرائيل في نظر ملايين الغربيين، ناهيك عن العرب،

---

[1] مترجم من كتاب الصحفي روبرت فيسك "The Great War for Civilisation" (57/1) - (64/1).

ولقد اعتبر العرب مؤتمر شرم الشيخ المعقود "ضد الإرهاب" على السّاحل المصري برعاية الرئيس كلنتون إذلالًا لهم.

فلقد أدان فيه كلنتون إرهاب حماس وحزب الله اللّبناني، دون إدانة العنف الإسرائيلي! ولذلك حَصلت التفجيرات في الخُبَر من أجل فلسطينيّ صبرا وشاتيلا، ومن أجل قانا، ومن أجل النفاق الذي أبداه كلنتون.

وإذا حدث وانفجر كلغ واحد من (TNT) في بلاد لم يسمع بها أحد أيّ انفجار عبر مئة سنة، فالأكيد أنّ انفجار 2500 كلغ من (TNT) في الخُبَر هو دليل واضح على مقاومة الشّعب للاحتلال الأمريكي.

وأَلَم يقاوم الأوربيّون الاحتلال الألماني خلال الحرب العالمية الثانية؟

فيسك: إنّ الأوروبيين لا يَقبلون مثل هذا التبرير، فالنّازيون قتلوا الملايين منهم، بينما الأمريكيون لم يقتلوا مطلقًا أي سعودي واحد، وبالتالي فالأكيد أن مثل هذه المقارنة خاطئة تاريخيًا وأخلاقيًا.

أسامة بن لادن: نحن المسلمون نملك شعورًا قويًا يربطنا جميعًا ويجعلنا كالبنيان المرصوص، فنحن نشعر مع أشقّائنا في فلسطين ولبنان، وانفجار الخُبَر لم يأتِ كنتيجة مباشرة للاحتلال الأمريكي، بل كنتيجة للتّصرف والسلوك الأمريكي ضد المسلمين؛ فحين قُتل ستون يهوديًا داخل فلسطين، قام العالم بأسره واجتمع خلال سبعة أيام لينّدّد بهذا العمل، في حين أنّ مقتل 600 ألف طفل عراقي جرّاء الحصار لم يلقَ أيّ ردّة فعل مماثلة، إنّ قتل هؤلاء الأطفال العراقيين هو حرب صليبية ضد المسلمين، ونحن كمسلمين لا نحب النّظام العراقي إلا أننا نعتقد أن الشعب العراقي وأطفاله هم أشقّاء لنا، ونهتم بمصيرهم ومستقبلهم.

فيسك: ماهي رؤيتك للنظام في السعودية؟

أسامة بن لادن: بدأ النظام السعودي تطبيق الشّريعة الإسلاميّة، وتحت هذه الراية طَفِق كل الناس في السعودية يساعدون العائلة الحاكمة على توطيد نفوذها، ثم بعد اكتشاف النّفط حظي النظام السعودي بدعم آخر وهو المال لجعل الناس أغنياء، وتقديم الخدمات إليهم، والحياة التي أرادوها والتي تجعلهم راضين، ولكن والوضع في السعودية يتدهور، فالعلماء والمشايخ أعلنوا في المساجد أن وجود الجيش الأمريكي في البلاد ليس أمرًا مقبولًا؛ وقد اتّخذت الحكومة تدابير زجريّة بحق هؤلاء العلماء بناء على نصيحة الأمريكيين!

وسَمَحَت أمريكا في الوقت نفسه بإدخال الحداثة في السعودية وقامت باستنزاف الاقتصاد فيها، ولقد صرف النظام السعودي 25 مليارًا لدعم صدّام حسين في الحرب الإيرانية العراقية، ثم صرف 60 مليارًا لدعم الجيوش

الغربية عام 1991 ضد العراق، وقام بشراء الطائرات بالدَّين، وشراء المعدّات والتّجهيزات الحربيّة التي لا تلزم ولا تفيد البلاد، فضلًا عن إحداث البطالة والضرائب العالية، وإفلاس الاقتصاد في الوقت ذاته، فنشبت الأزمة المالية، وعلى كل الناس الآن أن يعانوا منها، فقد وجد التجار أن اتفاقياتهم أُلغيت، والحكومة مَديْنة لهم بمبلغ 340 مليار ريال سعودي، وهو مقدار هائل يساوي 30% من الدّخل القومي في المملكة، وارتفعت الأسعار، وأُلزم النّاس بأنْ يدفعوا أكثر فأكثر للكهرباء والماء والوقود، أما المزارعون السعوديون فلم يتلقّوا أية دفعة مالية منذ عام 1992، ومن حصل منهم على منحة فقد نالها من المصارف كقرض من الحكومة، والتّعليم العام يتدهور بحيث يرسل الناس أولادهم إلى المدارس الخاصة والتي هي باهظة التكاليف.

وفي عام 1990 كان التاريخ المحوري عندما غزا صدام حسين الكويت، ودخلت القوات الأمريكية بلاد الحرمين الشريفين، فاحتجّ العلماء وطلبة العلم ضد تدخل القوات الأمريكية، فلقد كانوا يساعدون الأمم التي تحارب المسلمين، وساعدوا اليمنيين الجنوبيين الشيوعيين ضد اليمنيين المسلمين، وهم يساعدون نظام عرفات في محاربته لحماس.

يتذكر الناس اليوم ما قاله العلماء، ويدركون أن أمريكا هي السبب الجوهري لنشوء مشاكلهم، والشخص العادي يعرف أن بلاده هي أكبر منتج للنفط في العالم كله، لكنه في الوقت نفسه بلد يعاني من الضرائب وسوء الخدمات.

إن الناس يفهمون فقد خطب الآلاف من المشايخ في المساجد، مدركين أن بلدنا أصبحت مستعمرة أمريكية، وهم يعملون بتصميم وفي كل عمل من أعمالهم لإخراج الأمريكيين من بلاد الحرمين، إنّ ما حدث في الرياض والخُبَر هو بُرهان واضح على الغضب العظيم الذي يُكنّه الشعب السعودي لأمريكا، فإن السعوديين اليوم يعرفون تمامًا أن عدوهم الحقيقي هو أمريكا.

وإني اعتقد أن الأمريكيين سيغادرون السعودية عاجلًا أم آجلًا، وإن الحرب التي أعلنتها أمريكا ضد الشعب السعودي يعني الحرب ضد كل المسلمين في كل مكان، وستستمرّ المقاومة ضد أمريكا، وستنتشر في أماكن عديدة في الدول الإسلامية، وإن علماءنا الذين نثق بهم قد أفتوا لنا بأن نطرد الأمريكيين من بلادنا، فالحل لهذه الأزمة هو بانسحاب القوات الأمريكية لأن وجودهم العسكري هو إهانة للشعب المسلم في بلاد الحرمين.

فيسك: ما قصة طلبك اللجوء إلى بريطانيا؟

أسامة بن لادن: إني مندهش من تصرف الحكومة البريطانية، فلقد أرسلوا لي رسالة عبر سفارتهم في الخرطوم قبل مغادرتي السودان، تُعلِمني بأنني شخص غير مُرحَّب به في بريطانيا، رغم أنني لم أطلب من قبل الذهاب إلى بريطانيا أصلًا، فلماذا أرسلوا لي بهذه الرسالة التي تقول: "إنك إذا انتقلت إلى بريطانيا فلن نقبل بك"؟! وقد أعطت الرسالة فرصة للصّحافة السعودية كي تدّعي أنني طلبت اللجوء السياسي إلى بريطانيا، مع أن ذلك غير صحيح.

فيسك: البلد الوحيد المتبقي لك هو أفغانستان؟

أسامة بن لادن: أأْمن بلد لي هو أفغانستان.

فيسك: يبدو أنّه المكان الوحيد الذي تستطيع فيه أن تُدير حملتك ضد الحكومة السعودية.

أسامة بن لادن: هنالك أمكنة أخرى.

فيسك: هل تقصد طاجكستان؟ أو أوزبكستان؟ أو كازخستان؟

أسامة بن لادن: هناك عدة أماكن، لنا فيها أصدقاء وإخوان حميمون، نجد فيها ملاذًا آمنًا.

فيسك: ولكن الآن قد أصبحت مطاردًا!

أسامة بن لادن: الخطر أصبح جزء لا يتجزّأ من حياتي، وهل تعلم أننا قضينا عشر سنوات ونحن نحارب الروس وجهاز مخابراتهم (KGB)، وعندما كنا نقوم بذلك في أفغانستان جاءنا 10000 سعودي ليقاتلوا على مدى عشر سنوات، وكانت هناك ثلاث رحلات أسبوعية بالطائرة من جدَّة إلى إسلام آباد، وعلى كل رحلة سعوديون قادمون للمشاركة في القتال.

فيسك: ألم يدعم الأمريكيون يومًا حرب المجاهدين ضد السّوفييت؟

أسامة بن لادن: لم نكن يومًا أصدقاء للأمريكيين، نحن نعرف أن الأمريكيين يدعمون اليهود في فلسطين وأنهم أعداؤنا، ولقد دفع السعوديون ثمن معظم الأسلحة المستقدَمة إلى أفغانستان بطلب من الأمريكيين؛ لأن تركي الفيصل كان هو ووكالة الاستخبارات الأمريكية (CIA) يعملان معًا.

ودعني أقول لك شيئًا، لقد استقبلت في الأسبوع الماضي مبعوثًا من السفارة السعودية في إسلام آباد، نعم جاء إلى هنا لكي يراني، وإن الحكومة السعودية تريد طبعًا أن تعطي الناس هنا انطباعًا بأنه يجب تسليمي لها، ولكن الحقيقة هي أنهم يريدون أن يفاوضوني، وطلبوا مني العودة إلى السعودية، فأجبتهم إني مستعد للكلام معهم بشرط واحد، هو أن يكون الشيخ سلمان العودة حاضرًا، فلقد سجنوه لأنه تكلم ضد النظام! وليس هناك إمكانية للتفاوض دون إطلاق سراحه، ولم أسمع جوابًا حتى الآن.

فيسك: ما الدّولة التي يريد أسامة بن لادن أن يراها؟ هل التي تقطع فيها أيدي ورؤوس السّارقين والمجرمين بحسب الشّريعة؟ كما يحصل اليوم في السعودية؟

أسامة بن لادن: إن الإسلام دين كامل لكل تفاصيل الحياة، وإذا كان الشخص مسلمًا حقيقًا وارتكب جريمة، فإنه يسعد بعقابه العادل، هذه ليست قسوة، إن مصدرها الله، عبر نبيه محمّد -ﷺ-.